الرواية الجزائرية الحديثة وصورة الطفل فيها

Child Depiction in the Modern Algerian Novel

Dr. Hafiz Muhammad Badshah
Assistant Professor Arabic Department,
National University of Modern Languages, Islamabad

Dr. Arshad Mehmood
Lecturer Arabic Department,
National University of Modern Languages, Islamabad

Abstract
The novel is one of the most significant types of storytelling. Because of its focus on a number of artistic elements, one of the most prominent elements of storytelling is the element of character, as character has different types and multiple dimensions according to the narrative text, as it sheds light on the sufferings of life and human attitudes towards them in the phenomenon of human development that has occurred over the past two centuries.
As for the character, it is the focus of the fictional text and a basic pillar in the fictional work. It has different images, patterns, orientations, and colors. It may be in the form of a man, or it may be in the form of a woman. In this position, we will be concerned with the child's personality. This personality is one of the most important components of human society because it links the future to the past and the situation, and all societies adhere to it. Before the advent of Islam, the child's personality did not realize its true value and was subjected to harsh, bad treatment. However, the advent of Islam and its teachings changed the view of human society towards the child.
As for Arab society before and years after independence from various controls in general, and in Algerian society in particular, we find that the child and his personality have had his basic rights diminished, and he may have the most basic of them, especially in the last quarter of the last century, in which the prevailing black conflict between the authorities and the Islamists has emerged. Several studies and researches conducted that focused on the situation of children during that dark period In order to reveal the child's true status in Algerian society.
Keywords: Narrative Text, Fictional work, Human attitudes, Child's Personality, Status of Algerian society

ملخص البحث

الرواية تعد من أهم أنواع السرد القصصي؛ لتركيزها على جملة من العناصر الفنية، فمن أبرز عناصر السرد القصصي عنصر الشخصية، فالشخصية أنماط مختلفة وأبعاد متعددة حسب النص الروائي، فبها تسلط الضوؤ على مشكلات الحياة ومواقف الإنسان تجاها في ظاهرة التطور الإنساني التي حدثت خلال القرنين الماضيين.

أما الشخصية هي محور النص الروائي وركيزة أساسية في العمل الروائي، ولها صور وأنماط واتجهات وألوان مختلفة، قد تكون في صورة الرجل، وقد تكون في شكل المرأة، نحن في مقامنا هذا سنهتم بشخصية الطفل؛ وهذه الشخصية من أهم مقومات المجتمع الإنساني لأنها تربط المستقبل بالماضي والحال، وتقوم بها كل المجتمعات، أما قبل مجيء الإسلام كانت شخصية الطفل لم تدرك قيمتها الحقيقة، وعرضت لمعاملات السيئة القاسية، لكن غير مجيء الإسلام وتعاليمه وجة نظر المجتمع الإنساني تجاه الطفل.

أما في المجتمع العربي قبل الاستقلال من سيطرات مختلفة وبعده بسنين على وجه العموم وفي المجتمع الجزائري على ووجه الخصوص نجد الطفل وشخصيته قد هضمت حقوقه الأساسية، قد يملك منها أسبطها، وخاصة في الربع الأخر من القرن الماضي، قد ظهر فيه الصراع السائد الأسود بين السلطة والإسلاميين، فظهرت عدة الدراسات والبحوث التي تهتم وتركز تجاه وضعية الطفل في تلك الفترة السوداء؛ كي تكشف عن مكانة الطفل الحقيقة في المجتمع الجزائري.

ومن هنا يأتي بحثنا هذا في إطار محاولة استعراض:(الرواية الجزائرية الحديثة وصورة الطفل فيها).

وقد قسمنا إلى المباحث التالية :

التمهيد، وفيه: الرواية الجزائرية نشأتها وتطورها.

المبحث الأول: الطفل في الأدب العربي.

المبحث الثاني: صورة الطفل في الرواية الجزائرية الحديثة.

الخاتمة، وفيها: أبرز النتائج والفهارس.

الكلمات المفتاحية: الرواية، شخصية الطفل، المجتمع الجزائري، العمل الروائي

التمهيد، وفيه: الرواية الجزائرية وأبنيتها المختلفة.

عاشت الجزائر تحت تأثير الاستعمار بحوالي القرن والنصف، وبطبيعة الحال إن هذا هو واقع الشعب الجزائري لهذه الفترة الطويلة إذن الروايات معظمها كانت انعكاس للواقع المعاش مما أدى إلى (ظهور روايات اتسمت بالضعف اللغوي، والتقصي في بادئ الأمر مثل حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد بن إبراهيم التي كتبها سنة 1849 وهي أول رواية جزائرية لم ترق إلى مستوى الرواية الفنية)[1]

وهناك من الباحثين من لا يعتبرها رواية نظرا للضعف اللغوي الذي يعتريها، فالبعض يعتبرها حكاية شعبية للغتها العامية، إضافة إلى غيابها في الساحة الأدبية، وهناك من يعتبرها أول رواية عربية لأنها سبقت حتى رواية محمد حسين هيكل زينب، ثم ظهرت أعمال أخرى، ذات وعي بالفن القصصي، وأول جهد معتبر نجده في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو التي ظهرت في الأربعينات تزامنا مع أحداث 8 مايو 1954، فنجد أحمد منور يعتبرها أول عمل روائيين جزائري مكتوب باللغة العربية وسار على منواله واسيني الأعرج، ثم توقف الإنتاج الأدبي إلى غاية نهاية الخمسينات، أي مرحلة اندلا ع الثورة، حيث شهد ظهور رواية "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي سنة 1951 ثم تلتها رواية "الحريق" لنور الدين بوجدرة 1957، وبعد هذه الرواية جاءت مرحلة الاستقلال وبعده مرحلة الستينات التي لم يظهر فيها أي عمل روائي مكتوب بالعربية فترة الجمود، نظرا للظروف السياسية بين الأحزاب الوطنية.

مع بداية السبعينات شهدت الرواية تطورا وتنوعا لم تعرف له مثيل، وذلك كانت نتيجة التغيرات الجذرية التي ظهرت خلال هذه الفترة، وفي هذا يقول واسيني الأعرج: "شهدت هذه الفترة وحدها ـ السبعينات ـ ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر من انجازات، فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله."[2]

ما سبق نلاحظ إن الرواية الجزائرية نشأت وتطورت عبر ثلاث مراحل وهي:

1. **مرحلة ما قبل الثورة التحريرية الجزائرية**: أول عمل روائي في هذه المرحلة هو لـ "محمد بن إبراهيم بعنوان حكاية العشاق في الحب والاشتياق عام 1949م، ثم جاء بعد هذا العمل الروائي رواية "غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو 1947م، ثم بعدها رواية "الطالب المنكوب عام 1951م لعبدالمجيد الشافعي". [3]
2. **مرحلة الثورة التحريرية** : الثورة الجزائرية خلقت مناخا خصبا للرواية للتتطور أكثر، وتتفاعل مع أحداث الثورة وتعبر عن واقع الوطن والشعب، فكانت الثورة الجزائرية الأرضية المناسبة لكتاب الرواية ليعيشوا أحداثها المتوترة وحربها الدامية، ومن الروايات التي حملت سمة الثورة رواية: الحريق لنور الدين بوجدرة عام 1957م.
3. **مرحلة ما بعد الاستقلال**: تبدلت الظروف العامة منذ الاستقلال "فتحقق الاستقلال السياسي، وتأكدت الشخصية الوطنية، وقامت الدولة الجزائرية التي بدأت تعمل من أجل الحفاظ على المقومات الوطنية الحضارية فلم يبق لكتابنا اليوم إلا أن يهتموا بما يشغل بال الجماهير الجزائرية بالدرجة الأولى، وكثير من الباحثين يرون أن المواقف ذاتها قد تبدلت، وفي الواقع أن هذه المواقف قد تطورت فعلا، فمواقف كتاب اليوم ليست بالضرورة هي مواقف كتاب الأمس"[4]كانت فترة الاستقلال أدعى لما

فيها هدوء نسبي إلى الميل نحو كتابة الفن الروائي لكن صورة الثورة ظلت هاجس تلاحق كل الكتاب، سواء من باب الحنين فالوصف، أو من باب الحنين فالنقمة فالنقد، فروايات مثل: المؤامرة لمحمد مصايف، والبزاة لمرزاق بقطاش، وهموم الزمن الفلاقي لمحمد مفلاح، نجدها مثلاً لا تتعدى الوصف بهدف التغني بمجد صنعناه بينما نجد التفكك لرشيد بوجدرة، واللاز لطاهر وطار، ونوار اللوز لواسيني الأعرج، من الكتابات التي لم تبق في حدود التعاطف والوصف، بل تجاوزت ذلك إلى النقد، رغم أن هؤلاء المؤلفين جميعا عاشوا الظروف نفسها تقريبا"[5] .

وما بعدهم إلى يومنا هذا .(فان بدايتها الفنية التي يمكن في ضوئها إن تؤرخ لزمن تأسيسها قد اقترنت بنص ريح الجنوب 1971 للأديب الراحل عبدالمجيد بن هدوقة مما يفترض إن تكون مرحلة السبعينات مرحلة فاصلة، منحت السرد الروائي الجزائري متوقعا هاما في مسيرة الأدب العربي حيث ظهرت تباعا أعمالا روائية مثل: ريح الجنوب 1971، مالا تدروه الرياح 1972 اللاز 1972، الزلزال 1978، نهاية الأمس، طيور في الظهيرة 1976، هذه الروايات كانت كلها تتناول الصراعات السياسية في الدولة الجزائرية آن ذاك، في كل مجالاتها الاقتصادي والاجتماعي مع بعض الرواسب الماضية "الثورة وما تبعها من تبعات من مخلفات الأحزاب السياسية"[6]، أما مرحلة الثمانيات شهدت تسجيل حالة من التحول الاجتماعي بداية بالربيع الأمازيغي 1980 ثم الأزمة الاقتصادية 1986، فأحداث أكتوبر 1988، التي شكلت منعطفا حاسما في مسار المجتمع الجزائري، على الرغم من التحول إلا إن الرواية جزائرية المكتوبة بالعربية لم يتح لها تخليف قطيفة مع رواية السبعينات على مستوى الرواية الفنية وأساليب التغير لأثرها كانت بشكل ما استمرار لفترة السبعينات، فكتاب الجيل السبعيني ما زالوا حاضرين كما لم يتخلص روايات الجيل اللاحق من الرؤية التي اتخذها فترة السبعينات وظلت بشكل عام تشكل استمرارية على مستوى الأشكال والمضامين لروايات المؤسس. [7]

موضوعات الرواية الجزائرية العربية

تنوعت موضوعات الرواية الجزائرية بتنوع اتجاهات الرواية في الجزائر، بداية برواية (غادة أم القرى لرضا حوحو) التي تدعو إلى إصلاح حال المرأة في المجتمع العربي، بعد ذلك أحداث الثورة التحريرية الجزائرية مع رواية (الطالب المنكوب لعبدالمجيد الشافعي) ونور الدين بوجدرة لتشل حركة الإبداع الروائي في الجزائر، إلى غاية بداية السبعينات بعد الاستقلال لتبدأ الإبداعية الأكثر فنية، بداية عبدالمجيد بن هدوقة في ريح الجنوب، وكانت موضوعات هذه الفترة (السبعينات) البعض منها عمل على استرجاع أمجاد الأجداد في خصم الثورة المجيدة، والبعض الأخر اهتم بالتغيرات التي كانت تطرأ على الدولة في المجال السياسي، وكذا التحولات الاجتماعية، إضافة إلى ذلك النظام الاشتراكي الذي برز في الابداعات الروائية من خلال

الواقعية الاشتراكية مثلا: (اللاز للطاهر وطار)"[8]

المبحث الأول: الطفل في الأدب العربي.

الطفولة مهد الأحلام ومبعث الآمال وبؤرة الحياة السعيدة للإنسان، لذلك يفر إليها المبدعون في إبداعاتهم، ولعالم البراءة اتصال وثيق بالعمل الإبداعي الأدبي، ويتحقق موضوع الطفولة في الأدب في شقين: أدب يخاطبها (أدب الأطفال) وهو الأدب الموجه للطفولة والذي يحمل غايات إمتاعية ونفعية، إذ يساهم في تكوين شخصية الطفل وأفكاره وقيمه واتجاهاته في المستقبل، أما الشق الثاني فهو الأدب الذي يتحدث عن الطفولة، إذ يوظفها بوصفها معنى وليس مرحلة معينة من عمر الإنسان.

فأدب الأطفال فن مهم يلعب دورا هاما في تشكيل كيفية تفكير الطفل و خياله وعقيدته. و أدب الأطفال هوأحد الأنواع الأدبية المتجددة في الآداب الإنسانية، فالطفولة هى المرحلة الأولى من مراحل العمر للإنسان، تبدأ من الولادة و تنتهي إلى البلوغ، كما يقول الله عزوجل: "(وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الذِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ "[9]).

والطفل هو الولد حتى البلوغ ويستوى فيه الذكر و الأنثى ، والجمع: أطفال و الطفل : الصغير من كل شيء.[10]

ومرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة عند الإنسان، و أكثرها خطورة، فهي تتميز عن غيرها بصفات و خصائص و استعدادات، وهي أساس لمراحل الحياة التالية، وفيها جذور لمنابت التفتح الإنساني ففيها تتفتق مواهب الإنسان، و تبرز مؤهلاته و تنمو مداركه و تظهر مشاعره و تتبين إحساساته و تقوى استعداداته و تتجاوب قابلياته مع الحياة سلبا أو إيجابيا، و تتخذ ميوله و اتجاهاته نحو الخير أو الشر، وفيها تأخذ شخصيته بالبناء والتكوين لتصبح – فيما بعد – متميزة عن غيرها من الشخصيات الأخرى.[11]

والطفولة أرض صالحة للاستنبات، فكل ما يغرس فيها من مكارم الأخلاق و محاسن الصفات وكل ما يبذر فيها من بذور الشر و الفساد أو الغي والضلال يؤتي أكله في مستقبل حياة الطفل، لذلك فهو يكتسب من بيئته العادات السارة و الضارة، و ياخذ السبل المستقيمة أو المنحرفة ، و هذا مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.[12]

و يشكل الأدب مكانة مهمة في حياتنا لما له من أثر عميق في النفس بفنونه المتنوعة و أساليبه الرائعة، وأدب الأطفال عندنا جزء حيوي من أدبنا العربي إلا أنه يهتم بشريحة معينة من المجتمع ألا وهم الأطفال، إذ يأتي هذا النوع من الأدب بأسلوب بسيط و مشوق، ويحمل مضمونا معينا سواء صيغ بأسلوب المقالة أو بأسلوب القصة أو الأنشودة أو الحكاية.

وأدب الأطفال حديث جدا من حيث تاريخ الأدب ولم ينشأ إلا منذ قرنين من الزمن تقريبا ولا يعني ذلك أنه كان منعدما، لكن الكتابة الأدبية المتخصصة بالأطفال حديثة جدا، و بدلا منها وجدت الحكايات المنقولة شفاهة عبر الأجيال و على لسان الأجداد و الجدات.

تعريف أدب الأطفال:

أدب الأطفال بمعناه العام: وهو يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة، مثل: كتب الأطفال العلمية المبسطة، و المصورة، وكتبهم الإعلامية، و دوائر المعارف الموجهة إلى الأطفال.

أدب الأطفال بمعناه الخاص: و هو يعني الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء كان شعرا أو نثرا، وسواء كان شفويا بالكلام، أم تحريريا بالكتابة، مثل قصص الأطفال و مسرحياتهم وأناشيدهم وأغانيهم و ما إلى ذلك.[13]

ويعرفه "إسماعيل عبدالفتاح بأنه "ذلك الجنس الأدبي المتجدد الذي نشأ ليخاطب عقلية الصغار، ولإدراك شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع، فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الكائن البشري لها خصوصيتها وعقلانيتها وإدراكها وأساليب تثقيفها، فمصطلح أدب الأطفال يشير إلى ذلك الأدب الموروث وأدب الحاضر وأدب المستقبل لأنه موجه إلى مرحلة عمرية طويلة من عمر الإنسان"[14] فالمراد من قوله هو التنبيه إلى الأهمية الكبيرة التي يكتسبها هذا النوع الأدبي النابغة أساسا من خصوصية مرحلة الطفولة، هذه الأخيرة تعد من أهم مراحل حياة البشر فعليها ينبني المستقبل ويتحقق الحاضر فالتوجيه السليم لهذه المرحلة العمرية يولد مجتمعا سليما والعكس.

اللغة والأسلوب في أدب الأطفال:

إن غالبية الأدباء الذين تطرقوا لقضية اللغة والأسلوب في أدب الأطفال، يجمعون على ضرورة مراعاة لغة الطفل و قاموسه حسب مراحل العمر والنمو، مع محاولة الارتقاء التدريجي لهذه اللغة، وهذا بدوره ينعكس في الأمور التالية:

على صعيد الألفاظ والتراكيب اللغوية: استخدام الألفاظ والتراكيب السهلة، وتجنب الغريبة غير المألوفة منها، والإقلال من المفردات والتراكيب المجازية إلا ما جاء منها عفو الخاطر، واللجوء إلى تكرار في الألفاظ والتعابير.

على صعيد الجملة: استخدام الجمل القصيرة أو المتوسطة، وتجنب الجمل الطويلة المعقدة، واستخدام الجمل والألفاظ الدالة على المعاني الحسية و تجنب المجرد المعنوي.

و على صعيد الأساليب: تحري الوضوح والجمال والدقة وتجنب الإسراف في الزركشة والزخرف

والمتكلف، وتجنب أسلوب التلميح والمجازات الغامضة الصعبة والاقتراب من خصائص '' لغة الكلام'' والاستفادة من أسلوب الراوي في الحكايات الشعبية الشفهية.[15]

أشكال أدب الأطفال

تتعدد الوسائط التي تتشكل من خلالها الألوان والمواد الأدبية للطفل فهناك المسرح والموسيقى والصحافة والكتب والوسائل مسموعة كانت أو مرئية أو مطبوعة، فلكل منها دور في توصيل الأدب للطفل، وبتعدد الوسائط تعددت فنون التعبير فهناك القصة والمسرحية والأغاني والأشعار وهي كما يلي:

1. **القصة**: وهي لون أدبي شيق لما تحدثه من جمال ومتعة في نفسية الطفل فيتأثر بها وبمشاهدها وقد عرفها أحمد زلط في قوله: "القصة لون قرائي فني متعدد المضامين، يكتبها الكبار للأطفال وتشتمل على عناصر القصة عند الكبار مثل الأحداث، والشخصيات، والبيئة القصيصة ، والسرد القصصي والأسلوبي ويراعي كاتب القصة تبسيط تلك العناصر لتناسب المراحل والخصائص العمرية النمائية عند الأطفال".[16]

2. **شعر وأغاني الأطفال**: تعد الأغاني والأشعار والأناشيد ذات أهمية كبيرة عند الأطفال وذلك لما فيها من تنغيم وإيقال يؤثر فيهم ويستميلهم "وشعر الأطفال لون من ألوان الأدب، يجد الأطفال أنفسهم من خلاله يحلقون في الخيال، متجاوزين الزمان والمكان عبر الماضي وعبر المستقبل، ليست هناك قيود على موضوعاته وأفكاره ومعانيه وخيالاته، بيد أن طريقة المعالجة والقدرة الفنية تقتضي كلمات مألوفة وخبرات محدودة لا تنطوي على تقرير معلومات وحقائق لأن شعر الأطفال يتمثل في إضفاء لمسات فنية على جوانب الحياة، لتجد فيها قلوب الأطفال الغضة متعة غامرة إذا ما رسمت في إطار فني جميل."[17] فالشعر الجيد هو الذي تمتزج فيه خبرة الشاعر مع تجربة الطفل وهو الذي يربط بين عواطف الأطفال وأخيلتهم وأفكارهم حتى يحقق استجابات عاطفية وانطباعات فنية.

ومن أمثلة الشعر في هذا الصدد أود أن أقدم بعض أبيات من قصيدة نزار قباني "هوامش على دفتر النكسة" التي تخاطب الأطفال بما يتجاوز فهمهم البرئي قائلا:

يا أيها الأطفال .....
من المحيطِ للخليج، أنتم سنابلِ الآمال
وأنتم الجيل الذي سيكسر الأَغلالَ
يا أيها الأطفال أنتم ـ بعَد طيبون
وطاهرون، كالندى والثلج، طاهرون
لا تقرأوا عن جيلنا المهزوم، يا أطفال

فنحن خائبون[18]

3. **المسرح**: مسرح الطفولة أحد أهم وسائط أدب الطفولة في العصر الحديث، ومسرح الطفل في ضوء ذلك وسيط مركب العناصر يتوجه لمرحلة عمرية طويلة ومتدرجة من عمر الإنسان، ويتمايز مسرح الطفل عن الوسائط الثقافية والإعلامية الموازية له في القدرة على مخاطبة عقل الطفل ووجدانه في أشكال فينة متنوعة لا تتوفر عناصرها في الوسائل الأخرى كالكتاب والمجلة والإذاعة والتلفوزيون"[19] . فهو أحد الوسائط التعليمية والتثقيفية يستمد فعالية التأثيرية من الاستعانة بالنصوص الأدبية والدراما المبسطة إضافة إلى توظيف الفنون مجتمعة من صورة وأزياء ودمى.

ومسرح الطفل أنواع تتمثل في : "المسرح التقليدي، المسرح العرائسي والمسرح التربوي، وكلها تساهم في التسلية والترويح على نفس الطفل حيث تقترب من عالمهم الصغير بهدف توسيع مداركهم وأفكارهم وتعويدهم على الجرأة الأدبية وعلى المشاركة والعمل الجماعي.

أهمية وأهداف أدب الأطفال :

ما من عمل يقوم به الإنسان إلا وله غاية رسمت له، ذلك لأن الإنسان صاحب عقل وتفكير وإدراك فكل عمل يقوم به يكون صادرا عن وعي منه وقد تكون هذه الغاية شريفة وقد لا تكون كذلك، وفي كل الأحوال ثمة غاية مع كل عمل وثمة هدف في كل نشاط إنساني، كذلك الحال بالنسبة لأدب الأطفال فهو موجه إلى فئة محددة ولغايات واضحة، ذلك لأن الطفل بحاجة إلى أن يعرف ذاته وذوات الآخرين، ويعرف البيئة التي تحيط به لي جيد التعامل معها.

وقد حدد كثير من المهمتين بهذا الأدب مجموعة من الأهداف التي يسعى إليها أدب الأطفال، وعلى العموم فإن الهدف العام لهذا الأدب" هو الاهتمام بأبعاد شخصية الطفل جميعها الجسمية والعقلية والإدراكية والاجتماعية والجمالية بشكل متوازن متكامل"[20]

فأدب الأطفال ليس أدبا ترفيهيا فحسب بل ينبغي أن يكون له دور تربوي، وهو ليس مجرد عرض للأخبار ولكن نقل للمعرفة وترسيخها في أذهان الصغار، تقول مريم سليم بهذا الصدد "لا تكون غاية أدب الأطفال هي إذكاء الخيال فقط ولكنها تتعداه إلى تزويدهم بالمعلومات العلمية والتقاليد الاجتماعية والاتجاهات الوطنية وإلى توسيع محصولهم اللغوي ومدهم بعادة التفكير المنظم ووصلهم بركب الثقافة والحضارة حولهم"[21]

وقد لخصت أمينة بوالزيت ومريم بوخروفة في دراستهما أهمية أدب الأطفال في جملة من النقاط كالتالي:

- أنه ينمي الذوق الفني عند الأطفال وذلك عبر القصص والحكايات المختلفة.
- يزيد من الخيال العلمي عند الأطفال وذلك عبر القصص والحكايات المختلفة.

- يعمل على تنمية الجانب العاطفي والإدراكي العقلي للطفل ويربيه اجتماعيا.
- يرسم معالم الشخصية للطفل من خلال غرس مجموعة من القيم التي تحدد طبيعة تلك الشخصية.
- يساهم في إكساب الطفل الثروة اللغوية، وإثراء ثقافته وإشباع رغبته في المعرفة واكتشاف البيئة التي يعيش فيها.
- يساعد في غرس مجموعة من القيم لدى الأطفال منها القيم الدينية والقومية الوطنية والاجتماعية والإنسانية.

الطفل في الرواية

يشكل الطفل موضوعا أساسيا في النص الروائي، خاصة روايات السيرة الذاتية التي تتخذ من ذكريات الطفولة المنطلق الأساسي في البناء الروائي.

فمن النماذج الروايات العربية التي عالجت موضوع الطفل فيها، فإننا نذكر على سبيل المثال رواية "الأيام" لطه حسين وبالتحديد الجزء الأول الذي يحكي ذكريات الصبي الأديب "طه حسين" وما عاناه ولاحظه من فروق بينه وبين إخوته نتيجة لفقدانه الحبيبتين (عيناه) هذا الطفل القروي الذي أسهمت في تشكيل فكره ووجدانه عناصر عدة، هي خليط من الخرافة والجهل والأسطورة والخيال الشعبي، ليضفي كل ذلك على صورة الطفل ظلالا رقيقة من الخيال والخوف من الظلام، ظلام العقل، وظلام العين[22].

ومن روايات السيرة الذاتية رواية "نجيب محفوظ" التي عنوانها "حكايات حارتنا" وهي مجموعة من الحكايات عن طفولة الكاتب، حيث يتقمص الراوي" نجيب محفوط" مرحلة الطفولة ويطرح قضايا دينية واجتماعية، وإنسانية عامة كالمرأة والجنس، والدين والسياسية والموت والحياة وحتى يبقى محايدا في طرحه فإنه قدمها من خلال عيني طفل.[23]

وتتجسد صورة الطفل الشقي في رواية "مغامرات الطفل المتمرد" لأحمد سفطي، وهي تنقل أحداث حياة الطفل الشقي المتمرد على تقاليد المجتمع والذي يهوي المغامرة كثيرا، "دعاني يوما أحد أصدقائي من المدرسة القرآنية أن نفر من الجامع والتغيب عن الدرس، فشق علي الأمر، ولكن رغبة المغامرة تغلبت علي ورافقته مع أخيه إلى الغابة... فسلكنا الطريق وتسلقنا إلى الكدية ثم إلى الأماكن الوعرة، ولعبنا مثل القردة على الأغصان والألياف ثم قطفنا الأزهار مثل الأقحوان والبنفسج."[24]

المبحث الثاني: صورة الطفل في الرواية الجزائرية الحديثة

مفهوم الصورة

لفظة الصورة "ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته"[25]

وتعد الصورة عموما اصطلاحا يشمل التشبيه والمجاز، وتكون بصرية، كما تكون سمعية ذهنية، فهي في علم النفس "إعادة إنتاج عقلية، ذكرى، لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة، ليست بالضرورة بصرية"[26]

والصورة أساس الفن بصفة عامة والشعر بصفة خاصة، لذلك فهي ليست أمرا جديداً "فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم"[27] فكلمة "الصورة" تستعمل "عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات"[28] ويقصد بالصورة هنا المصطلح الشائع للصورة الشعرية التي تهتم بالتشبيه، والمجاز، والاستعارة والكناية.

والسبيل لبناء صورة هو الوصف الفني، الذي هو أداة التعبير "بالأسلوب الذي يجسم الإحساس، وتجسيم الإحساس لا يمكن أن يكون إلا في قالب من الصورة"[29]، وعن طريق الخيال تتشكل هذه الصورة وتتلون على يد الكاتب" الذي يتخذ الوصف الفني أداة لبناء صورة معينة لمكان أو شيء أو شخصية أو غير ذلك، باللغة الموحية القديرة على تجسيد الفكرة أو الشعور في صورة تصير معها الفكرة أو غيرها من المشاعر شيئا محسا، حيت تأتي الأهمية الخاصة للعناصر الأساسية التي تساعد على تشخيص تلك الصورة في شكل معين : إيجابي أو سلبي أو حيادي وقد يأتي بناء الصورة لغاية معينة، كما قد يأتي عرضا على قلم الكاتب"[30]، فتعكس تلك الصورة إحساس الكاتب وانفعاله ويؤثر في الآخرين أي المتلقين، ويخضع هذا التأثير لمستوى تكوين الصورة وعلاقتها بالمتلقي.

إن الرواية كإبداع تحمل الكثير من الصور لأغلب الفئات من المجتمع، فالصورة عبارة عن أداة تحمل الإنسان يبوح بمكنونات نفسه وآماله وآلمه وفق رؤاه، فنجدها قابلة للتأويل محتملة عديد الدلالات، كما إن لها قدرة كبيرة للتحكم في المواقف التواصلية، فمن خلال قراءة الرواية وتحليلها وتأويلها يمكن إن: نستخرج منها صورة المرأة، صورة الرجل، وصورة الطفل، صورة الطقوس، صورة العادات، وصورة التقاليد وغيره ذلك من المؤشرات التي يشير إليها الروائي من خلال الكلمة فالرواية تحمل العديد من موضوعات الصورة أهمها: صورة المرأة، صورة الطفل، وصورة البطل.

المبحث الثاني: صورة الطفل في الرواية الجزائرية الحديثة

أدب الطفل هو ذلك النوع من الأدب الذي يهتم بشريحة الأطفال تلك الشريحة أو الفئة الهشة من المجتمع، يسهم في ترقيته تربويا وأخلاقيا، حتى فنيا فيغرس فيهم أسمى القيم الإنسانية من التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع. أما عن الطفل في الجزائر لم يهتم به أبدا، إلا بعد الاستقلال بكثير حتى أصبح هناك اهتمام بالأطفال، من مسرح وقصص للأطفال. [31]

أما عن صورة الطفل في الرواية الجزائرية فسنأخذ نماذج من روايين جزائريتين" الدار الكبيرة لمحمد ديب، ورواية مملكة الزيوان

صورة الطفل في رواية الدار الكبيرة

فالصورة الطفل في الرواية "الدار الكبيرة لمحمد ديب"، التي صورت لنا الطفل الجزائري أبان فترة الاستعمار وخاصة فترة الثورة، وقد صور الروائي هذه الحالة في الطفل "عمر" الذي اختاره شخصيةً بطلة في الرواية وفي هذا الصدد يقول: أحمد منور: "يمكن القول إن الكاتب قد وجد شخصية في الطفل "عمر" شخصية نموذجية ممتازة للتعبير بشكل رمزي مناسب عن العديد من الأفكار التي كانت تدور في ذهنه، وهي الشخصية لذلك الصبي البسيط والفقير، الطائش والبائس الذي يرمز إلى الطفولة وهو من عائلة فقيرة ومحرومة إنسانياً وطبقيا وحتى نفسيا، اضطرته ظروفة الحياة أن يعيش جائعا وأن يعيش في " دار سبيطار"، المدرسة والشارع ظروف منحطة كلها مرار وبؤس بنوعيه المادي والمعنوي، وفي هذا يقول: "كان الجوع الرهيب لا تتركه يوما من الإيام، فليس في البيت شيء يأكله، وكان من فرط الجوع في بعض الأحيان أن لعابه يتحلب في فيه زبداً"(32)

فشخصية "عمر" هي الشخصية الرئيسية التي تناول الكاتب من خلالها صورة الطفل وهو يعاني أشد أنواع الحرمان الذي يصل أحياناً إلى يأس قاتل وهذا ما نجده في قوله:

"كم مرة ركع على قدم الجوس في المساء. وقد غرقت نفسه وعيناه في تحية واسعة بينما الجوع يبتسم له ويبتسم... ويقترب منه، ويغمره بوجوده السمح الرحيم، ثم إذا بنوم يقظ يرفق في عينيه فينام والجوع يهدهده بحركات خفيفة خفيفة جدا"(33).

إذن فـ "محمد ديب" اختار الطفل "عمر" رمزا للثورة، ومرآة لما يعيشه الشعب الجزائري من معاناة مع المغتصب المتعدي على حريتهز والغرض من هذه الرواية إنما هو إسماع صوت الشعب الذي فاقت حيرته حيرة الأطفالن فالطفل "عمر" إذن يرمز للحيرة على الوضع الرمزي الذي يعيشه، والذي خلف فيه تراكمات انفعالية كالخوف والغضب والثورة مثله مثل باقي الأطفال الذين سجنوا في حضانة تتكفل بتطعيمهم كل أنواع التعذيب والتشريد بدل الرعاية والحنان.

لقد رسم الروائي هذه الشخصية في كثير من الحرارة والرقة فصور عفويتها وعواطفها وتفتحه على العالم ببراعة، وكان "عمر" رغم صغر سنه يشعر أنه مسؤول على زميل له في المدرسة يسمى "صاحب القميص كاكي"، فحينما يختفي هذا الطفل عن أنظاره تتسارع إليه أفكار وأوهام بأن هذا الطفل ربما يكون قد مات، فينسج في خياله أحداثا لا وجود لها ويؤلف قصصا غريبة تزيده اضطرابا وقلقا.

صورة الطفل في رواية مملكة الزيوان

تعتبر رواية مملكة الزيوان للصديق حاج أحمد، تعبيرا عن مسار الروائي التواتي الحياتي، لكونها أقرب إلى السيرة الذاتية من الرواية، "فالكاتب هنا يتوغل عميقا في تفاصيل الوعي الجمعي لمنطقة تواتي منذ الستنيات إلى الآن بكل ما تخفيه من تصورات، ولغة وطرائق التفكير، وسلوكيات ومشاعر ناتجة عن الوضع الاجتماعي الذي يتواجد في ظله الأفراد"[34]

إذا فالرواية هي نتاج ذاكرة تواتيه تسرد أحداث المنقطة بداية من الستينات حتى تغسل من طينها، فالرواية تحمل بين طياتها كل ما عرفتها المنطقة من عادات وتقاليد وطقوس قديمة وحتى بعد ما بدأت تظهر عليها بعض ملامح التمدن، فهي تشكل بالنسبة للزيواني هوية لمسقط رأسه.

فالروائي الحاج أحمد الصديق، في روايته مملكة الزيوان يذكر كل ظروف ولادته وبكل تفاصيلها فيذكر في هذا المقطع من الرواية: "مسحت أمي قطرات الحليب المتساقطة على جبهتي، وطرف عيني بقناعها المصنوع من كتان الدميشي[35] عندها تثائبت، وألقيت نظرة طفولية برئية على وجه أمي، أتصوره وأنا أنغنغ في حجرها، وجها شريفا باهتا، لا زال حمل تسعة شهور ومخاضها، باديا على محياه"[36]

ففي هذا المقطع يخبرنا الروائي بأن منذ لحظاته الأولى في الوجود، أشم رائحة مملكة الزيوان بعد أن كانت ولادته طبيعية، فهنا الطفل في المرحلة الأولى من مراحل الطفولة، وفيها يعتمد الطفل بشكل كلي على أبويه خاصة الأم في كل أموره من تغذية، لباس، ... الخ.

وكان الروائي يذكر نومه في حضن أمها حيث يقول: كانت أمي ساعتها تهزني في حجرها هزا خفيفاً بركبتها اليمنى، كاني في أرجوحة، وتطبطب بيدها اليمنى طبطبة خفيفة على وجهي، وهي تقول مغنية بصوتها الشجي، أغنية شعبية مشهورة عندنا، تستعملها الأمهات لتغلب النوم عند الصبي، وهو في الحجر:

الله الله الله

يا سيدي بوتدارة[37]

يا من جاهك عند الله [38]

أرجال الصبارة[39]

جيت أمهود لتوات[40] ....

بعدها نمت نوماعميقاً، فوضعتني في دنفاستي تحت الخطير. "[41]

ولا بد أن هناك فرق كبير بين حياة الطفل في المدينة والريف، لأن طفل المدينة يتميع بالكثير من الامتيازات عن طفل الصحراء مثلا التعليم، في المدينة يدرس الطفل في ظروف جيدة أولها المناخ، أما

في الصحراء فالجو لا يساعد على ذلك، إضافة إلى الظروف المادية، والأمر كذلك بالنسبة للصحة والتي كانت غير متوفرة نهائيا. مثل قول الكاتب:

" لولا عناية الله بأبناء القصور من أمثال وتشابك أيدي القابلات الذي شكل لوحة فنية بديعة التي رسمت لي أول مهد..."[42] في ذلك الوقت حينما ولد الكاتب (الزيواني) كانت العناية الصحية منعدمة تماما.

وفي مرحلة ما بعد الفطام يبدأ الطفل في إدراك ما حوله من أشياء وأشخاص... ويميز بين ذاك ذاك، ولكن ليس تميزا دقيقا يستطيع من خلاله طرح التساؤلات التي تدور في ذهنه حول كل ما يراه أمامه من موجودات، فالزيواني أصبح يدرك بعض الأشياء من حوله، كقضية لون الداعلي وأمه قاموا عن لونه هو وعائلته مثلا:

"كان تعلم المشي بالنسبة لي بمثابة التأشيرة التي أشرت جواز سفري لا اكتشاف العالم الخارجي... تخطي عتبة بيتنا ماشيا، تبدأ بطبيعة الحال الزيارة الحارات مع أمي، لما كان يعن له غرض من الأغراض خارج البيت....، فكم من مرة كنت أمسك سبابة يمنى يدها بيدي فتزور بيت جارتها هذه، هي من صديقاتها العزيزات..."[43]

نتائج البحث

من خلال البحث توصلنا إلى النتائج التالية:

- كانت بداية الرواية الجزائرية العربية متأخرة لأسباب في مقدمتها الاستعمار.
- تضمنت الرواية الرواية الجزائرية العربية أهم الأحداث والوقائع التي مرت بها الجزائرة.
- تنوعت موضوعات الرواية الجزائرية بتنوع اتجاهات الرواية في الجزائر، ومن أمثالها: إصلاح حال المراة في المجتمع العربي، وأحداث الثورة التحريرية الجزائرية.
- صورة الطفل الجزائري في الرواية الجزائرية تتجلى من خلال الروايات التي يذكر فيها الكاتب طفولته.
- شخصية الطفل الجزائري في رواية مملكة الزيوان، تحمل مشعل أحلامه، وطموحاته في جو البيئة الصعب.
- صورة الطفل الجزائري في الرواية نموذج حي يحكي حياة الطفل في مناخ صحراوي قاسي مليء بالمتناقضات التي تجل من ذلك الطفل مثلا يحتذي به في الصبر ومواجهة الصعاب.
- شخصية الطفل الجزائري في رواية الدار الكبيرة تحمل مشقات الجوع والخوف.

الهوامش

([1]) الرواية العربية، جورج ألن، ص/105

([2]) نسيمه بلع يدي وكريمة بلخدا2011، شعرية اللغة في رواية فوضى الحواس أحلام مستغانمي

([3]) مقال الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بحث في التأسيس والتاصيل، لدكتور علجي فؤاد، مجلة الكلم، المجلد 6، العدد 2، 2021، ص/674.

([4]) نفس المرجع، النثر الجزائري الحديث، لمحمد مصايف، ص/ 120.

([5]) نفس المرجع، مراجعات في الأدب الجزائري، مخلوف عامر، دار التنوير، الجزائر، ط/1، 2013، ص/96،

([6]) التجريبي في النص الروائي الجزائري،اعداد:رحال عبد الواحد،اشراف:رايس رشيد، رسالة مفمدة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب، الحديث جامعة العربي بن مهيدي، -2014 2015

([7]) صورة الطفل في رواية مملكة الزيوان، بحث ماجستير في اللغة والأدب العربي، للطالبتين بدوي زينب، وغواط فاطمة.جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، ص/13.

([8]) نفس المرجع، نقلاً من البعد الوطني في الرواية الجزائرية المعاصرة، وأخيراً تتلألأ، الشمس أنموذجاً، محمد مرتاض، فاطمة قاسمي، جعفري أحمد رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جمامع أحمد دراية أدرار، ص/55.

([9]) سورة النور، رقم الآية/ 59

([10]) لسان العرب، ابن منظور ، ج 8 ، ص 174 ، دار صادر بيروت

([11]) أدب الأطفال أهدافه و سماته ، محمد حسن بريغش، ص 12، ط: 2 ، مؤسسة الرسالة بيروت 1996

([12]) الطفل المثالي في الإسلام ، أحمد الخطيب، ص 7 ، ط: 1 ، المكتب الإسلامي، بيروت 1980.

([13]) تأثير ألف ليلة و ليلة على أدب الأطفال العربي، يحيى رافع، ص 9، دار الهدى، العراق 2001م.

([14]) أدب الأطفال في العالم المعاصر، إسماعيل عبدالفتاح، ط/1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر ، ص/ 22-23، نقلا من مذكرة صورة الطفل في الرواية الجزائرية، ص/1.

([15]) القصة الواقعية للأطفال في أدب سليم خوري، أبو محمود، ص 30 ، دار الهدى، العراق 2001م.

([16]) أدب الطفل العربي، لأحمد زلط، دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل، دار هبة النيل للنشر والتوزيع، مصر، 1998، ص/ 164.

([17]) أدب الأطفال مدخل للتربية الإبداعية ، إنشراح إبراهيم المشرفي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2005، ص/89. نقلا من مذكرة صورة الطفل في الرواية الجزائرية.

([18]) الأعمال السياسية الكاملة ، نزار قباني، ط/2، منشورات نزار قباني، بيروت لبنان، 1999م، ج/6، ص/496.

([19]) أدب الأطفال لأحمد زلط، ص/196

([20]) أدب الأطفال، لعبدالمعطي نمر موسى ومحمد عبدالرحيم الفيصل، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2000م، ص/65.

([21]) أدب الطفل وثقافته، مريم سليم، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2001م، ص/15.

([22]) الأيام، طه حسين، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، ج/1.

([23]) المؤلفات الكاملة، حكايات حارتنا، نجيب محفوظ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 1993، ج/4

([24]) مغامرات الطفل المتمرد، أحمد سفطي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص/60.

([25]) لسان العرب، مادة صورة، ج/8، ص/ 304.

([26]) نظرية الأدب، رنيه ويليك، وأوستن واري، ترجمة محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 1987، ص/194. نقلا من مذكرة صورة الطفل.

([27]) فن الشعر، إحسان عباس، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1996م، ص/ 193.

([28]) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس بيروت لبنان ، ص/03.

([29]) الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، محمد ناصر، ط/2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2006م ، ص/ 427 – 428.

([30]) الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، عمر بن قتيبة، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995م، ص/107-108.

([31]) صورة الطفل في رواية مملكة الزيوان، بحث ماجستير في اللغة والأدب، لبدوي زينب، وغواط فاطمة، 2020، جامعة أحمد دراية، أدرار، ص/ 26

([32]) الدار الكبيرة، محمد ديب، ترجمة سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنيشر بيروت، لبنان، 1985، ص/69

([33]) نفس المرجع، ص/ 77

([34]) الطقوس والتمثلات الهوية الجمعية في رواية مملكة الزيوان، مجلة النص،

([35]) كتان قديم، كان أغلب لباس النساء بتوات .

([36]) مملكة الزيوان، الحاج أحمد الصديق، ، ص/48

([37]) ولي مشهور بتوات، يقع ضريحه ومرقده يدعى إكيس بنواحي تامست

([38]) لك جاه مقبول عند الله

([39]) لكونك من الرجاهل الصابرين

([40]) عزمت النزول والسفر لتوات.

([41]) ممكلة الزيوان، ص/ 25

([42]) مملكة الزيوان، الحاج أحمد الصديق، ، ص/48.

([43]) نفس المرجع، ص/86